مقدمة

عندما قمنا بعمل هذا الكتاب تطرقنا إلى أهمية التعلم عن بعد وانه يزداد أهمية كلما ازدادت الحاجة إليه فقد شهد التعليم عن بعد – خاصة في العقد الأخير – تغيراً سريعاً من حيث زيادة الإقبال عليه سواء على المستويات الجامعية والأكاديمية أو على مستوى المؤسسات.

إن بإمكاننا طرح العديد من المبررات التي تكمن وراء تخلي المؤسسات والأفراد عن معارضة التعلم الذي يتم خارج نطاق الحرم الجامعي وخارج حدود الفصل، إلا أنه لن يستطع أن ينكر أحد منا أن الحافز الرئيسي لمثل ذلك التغير إنما يكمن في ظهور التكنولوجيا الجديدة. فظهور تكنولوجيا الاتصالات الجديدة وانتشارها إنما هما العاملان اللذان أديا إلى جذب التعلم عن بعد لاهتمام الملايين من الدارسين المتطلعين إلى التعلم في الولايات المتحدة الأمريكية وفي جميع أنحاء العالم. تلك التكنولوجيا – التي تضم أجهزة الكمبيوتر الشخصية وشبكة الإنترنت وشبكة المعلومات الدولية التي يمكن وصفها الآن مكتب كل أستاذ وكل مدرس ومدرب في العالم المتطور وما وراءه تقريباً – قد وفرت الفرصة لأولئك المعلمين لتجريب أفكارهم وأساليبهم في التدريس عن بعد. وقد رحبت المؤسسات التي يعمل بها أولئك المتخصصون بدورها بفرصة توسيع مدى الاتصال بالدارسين بعيداً عن الحدود التقليدية والجغرافية، وبذلك يمكنها الوصول إلى نتائج أفضل.

لقد صاحبت تلك التغيرات التي أحدثها التكنولوجيا الجديدة تغيرات في السياسة

الاقتصادية القومية والعالمية دفعت بالمؤسسات التعليمية إلى قبول تخفيض المنح المالية للتعليم والى تبني توجه تجاري يتيح التعليم كخدمة تعرض في سوق تنافسي. إحدى نتائج ذلك التوجه تتمثل في ظهور العديد من المؤسسات التعليمية التي توفر التعليم القائم على الربح، والنتيجة الأخرى تتضح في الشركة بين بعض المؤسسات القديمة بهدف إيقاف طموحات المؤسسات المناقشة. وأخيراً من الممكن أن نلمس زيادة كبيرة – في العقد لماضي – في انتشار ما يسمى بالتوجهات البنائية للتعلم، وهي تعد وجهة نظر تدور حول العلاقة بين المدرس والدارس والتي تعد مألوفة لدى المعلمين القدامى الذين يعلمون في مجال التعليم المفتوح الآن إذ أنها ترتكز على " الدراسة المستقلة " كمفهوم تقليدي. ولآن البنائية constructivism مشتقة من الممارسة داخل الفصل، فقد ساعدت الكثير من المدرسين داخل الفصول على اكتشاف أن ثمة المزيد مما يمكن تدريسه وتعلمه أكثر مما يتم داخل قاعات المحاضرات والفصول، وعلى العكس فقد اكتشفوا أنهم بإمكانهم الدخول إلى بيئات تعليم وتعلم داخل منازل الطلاب وأماكن أعمالهم، وأنهم بإمكانهم أيضاً إنلحة نتيجة تعليمية وإقامة حوار مع طلابهم من خلال وسائل الاتصال التكنولوجية.

من خلال تلك الملاحظات البسيطة يتضح لنا لماذا تحفزنا نحو إعداد طبيعة جديدة من كتاب " التعليم عن بعد ". إن السبب هو الواضح هو تغير الكثير في التكنولوجيا المستخدمة للتعليم عن بعد بصورة يصبح فيها التعليم منظماً، والتعليم في مفهوم من الذي يتعلم وكيف يمكن أن يتعلم، بالإضافة إلى التغير في سياسة الدولة والسياسة التعليمية. علاوة على ذلك لقد مرت عشرات السنوات من الأبحاث الأكاديمية المتطورة والتي تتمثل في المعرفة المنظمة والرسمية، وهي أبحاث تم نشرها في مقالات كتبت على صفحات الجرائد والكتب والرسائل بالإضافة إلى مصادر الإنترنت.

مع هذا فليس كل ذلك جديداً علينا. وفي الواقع فإن إحدى كبريات المخاطر التي تهدد الممارسة الجديدة والتلمذة المتميزة تتمثل في الإخفاق الشائع بين الوافدين الجدد على ذلك المجال على ذلك المجال في فهم ماهية عمق المعرفة. إننا لسنا في حاجة إلى أن نتعرف بأن الإلمام بطرق تصميم ودعم التعلم عن بعد لم يحدث مع مجرد ظهور شبكة الإنترنت، ولكن المذهل هو العدد الهائل من الأساتذة الذين يعتقدون غير ذلك. ومع التحاق الأعداد الفقيرة من الوافدين بالتعليم المفتوح بدون تدريب مسبق أو بتدريب غير كاف أو بدون دراسة تذكر في هذا المجال، فقد أصبحت الحقائق الأساسية التي ذكرناها في الطبعة الأولي أكثر إلحاحاً من ذي قبل. فنحن نؤمن مثلاً بأن كل مدرس أو إداري أو صانع سياسة بالتعليم المفتوح – والذي يضطلع باتخاذ القرارات بشأن التعليم المفتوح – سيكتشف أن الإلمام بالحد الأدنى من تاريخ هذا المجال لهو أمر في غاية الأهمية، إذ أن التاريخ يوضح أن القرارات التي تواجه مستخدمي التكنولوجيا الجديدة كانت تواجه من سبقهم ممن استخدموا النصوص المطبوعة والإذاعة والمؤتمرات التلفزيونية. وبالمثل فإن أسس تصميم التعليم ودعم الداسين وتنظيم وإدارة الموارد بالإضافة إلى نظرية التعليم عن بعد، كل ذلك لابد من تطبيقه واستخدامه في تغيير السياق الاجتماعي والتكنولوجي. ولكن قبل أن تستخدم بأسلوب ذكى، لابد أن تفهمها أولا. ولذا، ففي هذه الطبعة الثانية – بينما نقوم بوصف وتحليل تطور التعليم عن بعد على مدى السنوات العشر الماضية – فإننا سنلتزم بوعدنا بعرض كل ذلك على أساس " نظرية " منظمة وبناء على أسس الممارسة الجيدة.

وفي عصرنا هذا – بما أننا أصبحنا جميعاً على وعي كامل – لم يعد التحدي الذي نواجهه ويواجهه طلابنا أيضاً، هو اكتشاف القدر الكافي من المعلومات ولكن يتمثل

ذلك التحري في تميز ما نستقطبه من معلومات متاحة وهو أمر في غاية الأهمية إذاً فإن وضعنا في الاعتبار أن هدفنا إتاحة كتب دراسية تقديمية يسيره لمن يستخر مها يعد إحدى مهامنا الأساسية وعلى أن يشمل هذا الهدف أن ينتقي تلك الكتب ما تشتمل علية. لذلك لا يعد هذا الكتاب مهدراً للوقت، كما لا يعد موسوعة أو مجلداً للأبحاث. وما نعرضه هنا، إنما هو مقدمة أو نظرة عامة في مجال التعليم، وهو كتاب ذو فصول منظمة تجذب الانتباه إلى الأسس الرئيسية التي يتم شرحها وبيانها من خلال تقديم مجموعة منتقاة من الحالات.

يصف ويوضح هذا الكتاب خصائص التدريس عن بعد وما تذكرة الأبحاث وما تأتي به التجارب حول التعلم عن بعد بنسبة لطلاب كليات التربية ولمدرسيهم وبنسبة للعاملين بالإدارة فأننا نعرض في هذا الكتاب مهام وتحديات تنظيم وإدارة الموارد اللازمة لعرض برنامج التعليم عن بعد. كما أننا نستعرض مدى التقنيات المتاحة بما فيها تلك التي تستخدمها طول الوقت ولكنها لم تذل تتمتع بالقدرات التي لا تتمتع بها التقنيات الأكثر حداثة. وبنسبة لأولئك المهتمين بتطوير البرامج وأولئك الذين قد يستخدمون البرامج التي قام بتطويرها الآخرون، فأننا نعتقد أنه من المفيد لهم استعراض طرق تطبيق أسس التصميمات التعليمية في مجال التعليم عن بعد.

علاوة على ذلك يضم هذا الكتاب فصولاً حول الموقف الحالي والتاريخ والنظرية والتجربة العالمية بالإضافة إلى بعض القضايا السياسية التي يتضمنها التعليم عن بعد وفي الصدد لابد أن نقوم بعرض الفكرة الرئيسية وهي أن التعليم عن بعد – في كل من دراسته وممارسته – يمكن فهمه وممارسته عندما ينظر إليه كنظام شامل.

فعند دراسته التعليم عن بعد لا يكفينا معرفة تاريخ أو نظرية أو أسس التصميم التعليمي أو حتى البنية التنظيمية له. فلا يمكن فهم أي من تلك المفردات كلٍ على

حدة فلا بد فهمها " جميعها " ولوحتي على مستوى أولي نسبياً مما يتيح إطاراً نظرياً يمكن من خلاله أن تنتقي مجالات محددة يمكن دراستها والبحث فيها بعمق. ومن الضروري لنا أيضاً كمتخصصين وممارسين في المجال أن نعي عناصر أو مكونات النظام وأن نشعر بالارتياح ونحن نعمل كجزء لا يتجزأ من هذا النظام إذ أننا ندرك تماماً أن مهارات الفرد تتمتع بقيمة أكبر عندما تتكامل مع التخصصات الأخرى التي تتيح تصميم وعرض برامج ذات جودة عالية وبتكلفة أقل مما يمكن أن تتيحه تلك المهارات فقط.

عندما تنتهي من قراءة هذا الكتاب فسوف تكون قد تعرفت إلى الخطوط الرئيسية لهذا المجال، كما تكون على استعداد لاختيار مجال أو أكثر من مجالات الدراسية المكثفة. ولدعم تلك المرحلة، قمنا بمراجعة وعرض ملاحق الكتاب بكل دقة وعناية. كما تشتمل الملاحق على مجموعة في غاية الأهمية من المراجعة بالإضافة إلى قاموس للمفردات وبيانات عن الصحف والدوريات الرئيسية

وبيانات حول وسائل الاتصال ببعض المؤسسات التي تعمل في مجال التعليم عن بعد، يوفر هذا الكتاب عناوين المزيد من المواقع الشبكية لعدد كبير من المؤسسات بالإضافة إلى بعض الوثائق المذكورة على شبكة الإنترنت. كما أن بالكتاب فصلاً فقدم من خلاله بعض المجالات الرئيسية للبحث. ومع ذلك فلابد أيضاً أن ننتهز هذه الفرصة لكي نحذر من أن استخدام تلك المراجعة والمواقع يغنى أبداً عن ضرورة قراءة هذا الكتاب إذ أنها لا يمكن أن تمثل بديلاً له بأي حال من الأحوال.

نود مرة أخرى أن نعرب عن جزيل امتناننا لأولئك الذين أسهموا في إصدار هذا الكتاب، وفي مراجعته في هذه المرة. وهؤلاء يضمون فيما بينهم زملاء لنا يعملون بالجامعات بالإضافة إلى المراجعين الذين قاموا بتنقيح مسوداته الودية. وثم عدد من

الذين أفادونا في إعداد تلك النسخة التي تحت مراجعتها ويمكننا في هذا الصدر أن نذكر فقط من كان لهم اليد العليا في ذلك. فعلى سبيل المثال استخدمت كاي شاتوك Kay Shattock- بجامعة كورنيل- هذا الكتاب في قيامها بالتدريس وعلى أساسها قامت بالعديد من الإسهامات الأساسية وخاصة يشاركها في الفصل العاشر. وقام جو سافروك بتنظيم الفهرس، كما تم إعداد فهرس المراجع بمشاركة هايجان كانج واستخدام كل من بين أندرسون ولندا بلاك هذا الكتاب في التدريس الشبكي، كما قام بإسهامات قيمة في العديد من فصولها. ومن بين الطلاب الذين تخرجوا من الجامعة، والذين قاموا بمديد المساعدة أرلو بنسانير Arlo Bensigher وكريسوسا. علاوة على ذلك فإننا نشكر الآتية أسماؤهم لإسهاماتهم العظيمة وهم : عائشة الحارثي وإنسونج جونج وآري ماتي أوفينين وأندو هيجينز وواين ماكنتوش وفيونا سبنس وآلان تيت وغيرهم الكثير.

نبذة عن المؤلفين

مايكل مور (دكتوراة الفلسفة، جامعة ويسكونسين ماديسون)

يتمتع مايكل مور Michael Moore بشهرة واسعة في الدوائر الأكاديمية وبمركز الريادة في تطوير الدراسة العلمية للتعليم عن بعد ووضع المناهج الأساسية له. ففي عام ١٩٧٢قام بإصدار أول نظرية لتعليم اللغة الإنجليزية عن بعد، كما حقق عدداً من " الإنجازات المسبقة" الجديدة بالاعتبار في هذا المجال. وعند قيامه بتدريس أول دورة دراسية في هذا الشأن بجامعة ويسكونين ماريسون في منتصف السبعينيات ساهم في تأسيس المؤتمر القومي السنوي في الجامعة. وعندما وفد إلى ولاية بين في عام ١٩٨٦ – حيث يعمل الآن أستاذاً بكلية التربية – أسس المركز الأمريكي لدراسة التعليم عن بعد. كما أسس أولي الصحف الأمريكية (الصحيفة الأمريكية للتعليم عن بعد) كما أسس أول سلسلة من الدورات الدراسية للخريجين بالإضافة إلى منتدى قومي للأبحاث " والمنتدى الشبكي للتعليم عن بعد " ومعهد قومي للقيادة. ومع وضعنا في الاعتبار مئات الإصدارات وعدد أكبر من ثلاثين دولة، فإن مور يتمتع بمعرفة عملية شاملة في مجال التدريس باستخدام جميع التقنيات. وفي السنوات الأخيرة قام بتصميم دورات دراسية للخريجين على شبكة الإنترنت والتي يقوم بتدريسها الآن. كما أنه يعمل مستشاراً تخصص في تأسيس وتقيم النظم الكبرى للتعليم عن بعد والتدريب عليها، بالإضافة إلى تحليل متطلبات مستوى البرامج وتصميم المناهج وتطويرها وتدريب المعلمين والتقويم.وحيث أنه تدرب أساساً كعالم للاقتصاد، وعمل أيضاً في صيانة المبكرة بمهمة التدريس لمدة

سبع سنوات في شرق أمريكا، فإنه يتمتع باهتمام خاص بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية، بالقيام بالعديد من الأبحاث وبمشروعات التدريب والتقويم للبنك العالمي صندوق النقد الدولي [1] IMF وهيئة اليونسكو والعديد من الحكومة القومية.

دكتور جريج كيرسلي Greg kearsely (جامعة ألبرتا)

يعمل كيرسلي مستشاراً مستقلاً متخصص في تصميم وتقديم التعليم الشبكي: قام بالتدريس في جامعة ميريلاند وجامعة نوفا ساوث إيسترن وجامعة جورج واشنطن، كما قام بتدريس دورات دراسية متطورة على شبكة الإنترنت من خلال العديد من المؤسسات بما فيها معهد والدن وجامعة ويسكونسين. لقد قام دكتور كبرسلي بتأليف أكثر من عشرين كتاباً في مجال التكنولوجيا.

[1] IMF الأحرف الأولي من " صندوق النقد الدولي " International Monetary Fund (المترجم).